شيراز فى شعر السعدى والحافظ

بقلم الدكتور / يحيى داود عبـاس
المدرس بكلية اللغات والترجمة بجامعة الأزهر

حب الوطن والحنين اليه :

لا شك فى أن حب الوطن والحنين اليه ظاهرة انسانية عامة نراها عند كل الأمم ، وفى كل العصور ، فالانسان بطبيعته موصول الوشائج بالأرض التى نبت عليها ، وبالمجتمع الذى نما فيه ، وهى وشـــائج عميقة تضرب بجذورها فى أعماق نفسه ، لذلك لا غرو أن نجد أن محبة الوطن أغنية فطرية على كل لسان ٠

يقول ابن الرومى (م عام ٢٨٣ هـ) عن بغداد مسقط رأسه :

بلد صحبت به الشـــبيبة والصبا ولبست فيه العيش وهو جديد(١)

وحب الوطن له طابع خاص ، وهو حب دخل الى النفوس مع المـــاء والهواء والطعام فخالط اللحم والعظم والدم ، وأحسته الحـــواس كلها مع ما تحمس ، واذا كان حب الوطن حبا قدسيا نبيلا فان الحنين الى الوطن عاطفة جياشة لا تقف أمامها أية عاطفة أخرى ٠

ويرتبط الانسان ببيئته ارتباطا وثيقا لأن الانسان مكمل لبيئته وهى مكملة له فى نشأته وتطوره ٠ ومن هنا كان للاقليم الذى يعيش فيه الانسان وينشأ أثر كبير فى تكوينه الجسدى والنفسى ، وفى أخلاقه وعاداته وتقاليده ، وفى استعداده الفكرى وابداعه العقلى ٠ وهذه القابليات تختلف من الانســـان لآخر ، تبعا لاختلاف الاقاليم ، وأختلاف الظروف الطبيعية والمناخية فيها(٢)٠

---

(١) ديوان ابن الرومى ـ اختيار وتصنيف كامل كيلانى ـ الجزء الاول ـ القاهرة ـ ص ٧٥ ٠

(١) محمد ابراهيم حور ـ الحنين الى الوطن فى الادب العربى حتى نهاية العصر الاموى ـ القاهرة ـ ص ١٢ ـ ١٨ ٠

وقد يرتحل الانسان من بلد الى آخر تبعا للظروف التى تمر به ، الا أن حنينه يظل دائما وأبدا للبلد الذى نشأ فيه ، ومما قيل فى ذلك من الشـــعر ما ذكره الجاحظ فى كتابه : المحاسن والاضداد حيث يقول :

وقال آخر :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحـــب الا للحـــبيب الأول
كم منزل فى الأرض يألفـه الفتى وحنينـــه أبدا لأول منـــزل (٣)

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس الى أوطانها مشتاقة والى مولدها تواقـــة ٠

ويتحدث الجاحظ فى كتابه عن الغريب ويقول :

« والغريب لا يفارقه الاحساس بالغربة أبدا وقال بعض الأدباء : الغربة ذلة والذلة قلة ، وشبهت الحكماء الغـــريب باليتيم واللطيم الذى ثكل أبويه فلا أم ترأمه ولا أب يحدب عليه ، وكان يقال : الغريب عن وطنه ومحل رضاعه كالغرس الذى زايل أرضه وفقد شربه فهو ذاو لا يثمر وذابل لا ينضر (٤) ٠

ولفظة الوطن واردة فى الأدب العربى ، وفى أقدم نصوصه ٠ والحنين الى الوطن والبكاء على فراقه ، قديم فى شعرنا العربى ٠ فقد عاشت القبائل العربية نهب الرحلة من وطن الى وطن ومن كلأ الى كلأ ، ثم جاء الاسلام وخرج العرب من جزيرتهم مجاهدين فى سبيل الله ، فبكوا ديارهم ونعواغربتهم وأنفسهم ٠

وقد ولع العربى بوطنه وتعلق به ، وكان النبى محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثير الحنين الى مكة وطنه واستمر الحنين الى الوطن طاغيا رغم تطور الحضارة والهجرة الواسعة الى الأقاليم والحواضر ٠

---

(٣) المحاسن والاضداد ـ الطبعة الاولى ـ القاهرة ١٣٣٢ ـ ص ٦٠ ٠
(٤) المحاسن والاضداد ـ ص ٦٠ ٠

واذا ما وصلنا الى العصر الحديث ، نجد أن أشعار الحنين الى الوطن موجودة ، ولعل أبرزها ما نجده فى أشعار شوقى الذى نفى من بلده مصر الى الأندلس ، ولعل أروع وأشهر ما نظم شوقى هو هذا البيت :

وطنى لو شـــغلت بالخلد عنـــه نازعتنى اليه فى الخـــــلد نفسى

أما شعراء المهجر فلا يخلو ديوان أحدهم من شـــعر عن الحنين الى الوطن ، فقد ظلوا على اغترابهم وقلوبهم وأرواحهم تهفوا الى ديارهم الأولى وهم دائمو النزوغ الى أوطانهم ٠

شـــيراز (٥) :

شيراز هى العاصمة الاسلامية لاقليم فارس الذى يقع جنوب ايران ، يقول عنها ابن بطوطة (١٣٠٤ م ـ ١٣٧٧ م) :

« ثم سافرنا منها ـ يقصد اصفهان ـ الى مدينة شيراز وهى مدينة أصيلة البناء ، فسيحة الأرجاء ، شهيرة الذكر ، منيفة القدر ، لها البساتين المونقة ، والانهار المتدفقة ، والأسواق البديعة ، والشوارع الرفيعة ٠ وهى كثيرة العمارة ، متقنة المبانى ٠ وهى فى بسيط من الأرض تحف بها البساتين من جميع الجهات ٠ وأهل شـــيراز أهل صـــلاح ودين وعفاف وخصوصا نســـاءها » (٦) ٠

ولشيراز اسماء تاريخية عرفت بها على مر الأزمان وهذه الاسماء هى :

١ ـ دار الملك ، وهو أول الأسماء وأقدمها ٠
٢ ـ ملك سليمان وعرش سليمان ٠
٣ ـ دار العلم ٠

---

(٥) خص أستاذنا الدكتور ابراهيم أمين الشواربى شيراز بحديث مفصل فى كتابه : حافظ الشيرازى : شاعر الغناء والغزل فى ايران ـ القاهرة ١٩٤٤ م ٠

(٦) رحلة ابن بطوطة المسماه تحفة النظار فى غرائب الامصار وعجائب الاسفار ـ دار الكتاب اللبنانى ـ ص ١٣٦ ٠

٤ ـ برج الأولياء ، وسميت بهذا الاسم لكثرة الأولياء والمتصـــوفة الموجودين بها منذ القرن السابع الهجرى وقد حدثنا ابن بطوطة عن بعضهم فى كتابه رحلة ابن بطوطة ٠

٥ ـ قبة الاسلام ٠
٦ ـ دار الفضل ٠
٧ ـ مدينة الأخيار ٠

٨ ـ مجموعة اسماء حديثة مثل : مدينة الورود والبلابل ـ مدينة العشق ـ مدفن السعدى ـ تربة الحافظ ـ مدينة الفنون ، وهى اسماء ترد على ألسنة المواطنين فى ايران ويرددها المرشدون والسائحون ٠

وتتميز شيراز بلطف هوائها وصفاء سمائها وخصوبة أرضها ووفرة النعمة فيها وبمناظرها الخلابة (٧) ٠

ولعل كل هذه المميزات وكل هذه المكانة والشهرة جعلت غير الشيرازيين يتحسرون على أنهم لم ينشأوا فى شيراز ٠

يقول الشاعر همام الدين التبريزى (٨) ما ترجمته :

ـــ لهمام شعر اسر وعذب ، لكن ما الفـــائدة والمســـكين ليس شيرازيا (٩) ٠

---

(٧) حسن امداد : شيرا ز درگذشته وحال ـ شيراز ١٣٣٩ هـ ش ـ ص ٤٢ ٠

(٨) همام الدين محمد بن علاء الدين فريدون التبريزى المشهور بـ « خواجه همام» والمتخلس بـ « همام » ، ولد فى تبريز فى عام ٦٣٦ هـ وتوفى فيها فى عام ٧١٤ هـ ٠ له ديوان مطبوع قام بتصحيحه الدكتور رشيد عيوضى فى تبريز عام ١٣٥١ هـ ٠ ش ٠
(بحث غير منشور عن همام الدين التبريزى ـ اعداد يحيى داود عباس)

(٩) همام راسخن دلفريب وشيرين است
ولى نبه سود كه بيچاره نيست شيرازى
(ديوان همام تبريزى ـ رشيد عيوضى ـ تبريز ١٣٥١ هـ ـ ١٠٩٢)

وجدير بالذكر أن كلمة « صحراء » تعنى عند الشيرازيين مكان التنزه والتسلية البريئة والترويح عن النفس ، كما أنها تعنى المكان الفسيح الأخضر النضر الذى يقضى فيه الناس أوقاتهم بعيدا عن ضجيج المدينة فى سعادة وانطلاق ٠

وقد وردت كلمة صحراء بنفس المعنى فى مواضع كثيرة فى أشعار السعدى والحافظ ، فيقول الأول :

ـــ ذهب الجميع الى الصحراء من أجل النزهة ، الا أن الخاطر لا يتحول عنك الى مكان اخر لأنك مرادنا (١٠) ٠

ويقول الثانى :

اذهب الى الصحراء حتى تنظف ذيل ثوبك من غبار الغم ، وتعال الى الروض ، حتى تتعلم من البلبل قول الغزل (١١) ٠

شيراز فى شعر السعدى :

شيراز هى مسقط رأس السعدى ، لكنه خرج منها وهو فى سن الشباب من أجل الدراسة وتحصيل العلوم والمعارف المختلفة ، وظل بعيدا عنها فترة طويلة وصلت الى ما يقرب من ثلاثين عاما ، الا أنه عاد اليها بعد التجول والتطواف ، وظل بها الى أن مات فى عام ٦٩٤ هـ ٠

وللسعدى قصيدة كل أبياتها عن شيراز وقد وضح فيها السعدى الاسباب التى جعلت من شيراز المدينة المفضلة على سائر المدن ومن هذه الأسباب :

---

(١٠) هركسى بتماشائى رفتند بصحرائى
ما راكه تو منظورى خاطر نرود جائى
(كليات سعدى ـ فروغى ـ ص ٦٧١ ـ طيبات)

(١١) بصحرا رو كه از دامن غبار غم بيفشانى
بكلزار آى كز بلبل غزل كفتن بياموزى
(ديوان حافظ ـ طبعة قزوينى وقاسم غنى ـ تهران ١٣٢٠ هـ ٠ ش ـ ص٣١٧)

الطبيعة الخلابة والأمان ووجود عرش سليمان بها ووجود أكثر من ألف شيخ وولى ووجود الذكر والفكر والعبادة فيها · وترجمة هذه القصيدة (*) هى :

ـــ ما أطيب لحظة انبلاج الفجر التى شاهدتها على رأس آخدود « الله أكبر » بشيراز ·

ـــ لقد رأيت جنة الله فى الأرض مرة أخرى ، وهى تحمل آحمال الأمان لاظلم الحاجة والقحط ·

ـــ بالله ، ان هذا الاقليم لا يليق بالظلمات ، فعرش سليمان والأسرار فى يده ·

ـــ وفيه يعيش أكثر من ألف شيخ ، ترفرف الكعبة فوق رؤسهم ·

ـــ قسما بالذكر والفكر والعبادة وبروح الشيخ الكبير ، وبحق روزبهان (*) وبحق الصلوات الخمس ·

ـــ ان مدينة الأخيار هذه تحفظك من يد الظالم سىء الدين والكافر والغمـــاز ·

(*) هذه القصيدة قريبة الشبه بالغزلية نظرا لعدد أبياتها وذكر تخلص الشاعر فى نهايتها ·

بديده باردكر أن بهشـــت روى زمـين كه بار ايمنى آرد نه جـور قحط ونياز
نه لايق ظلمـــات تست بالله اين اقليم كه تختكاه سليمان بدشت وحضرات راز
هـــزار بير دلى بيش باشـــد اندروى كه كعبه بوسر ايشان همه كند برواز
بذكر وفكر وعبـــادت بروح شيخ كبير بحق روزبهـــان وبحق بنج نمـــاز
كـه كوش دار تو اين شهر ينكمر دانرا زدســـت ظالم بددين وكافـــر وغماز
بحق كعبـــه وآنكس كه كرد كعبـــه بنا كه دار مردم شـــيراز در تجمل وناز
هر آنكس كند قصـد قبـة الاســـلام بريده بادسرش همجـــوز ونقـره بكاز
كه سعدى در حق شيراز روزوشب ميكفت كه شهرها همه بازند وشهر ماشـــهباز
خوشا سبيده دمى باشد آنكه بينم باز رســـيده بر سر الله اكبر شـــيراز

(كليات سعدى ـ محمد على فروغى ١٣١٩ ـ تهران ـ ص ٤٦٢)

(*) من كبار شيوخ التصوف فى شيراز ·

ـــ وبحق الكعبة وذلك الذى قام ببناء الكعبة ، ان دار أهل شيراز تعيش فى أحضان الجمال والدلال ٠

ـــ لتقطع رأس كل شخص يقصد قبة الاسلام ـ بسوء ـ كما تقطع الفضة والذهب بالمقراض ٠

ـــ ان السعدى كان يقول فى حق شيراز ليلا ونهارا :

ان جميع المدن مثل طيور البازى ومدينتنا مثل الشاهين (*) ٠

ولما كان الانسان موصول الوشائج بالأرض التى نبت فيها فانه قد يرتحل من بلد الى آخر الا أن حنينه يظل دائما وأبدا لسقط رأسه ، يقول السعدى :

ـــ ياريح الصبا اذا كانت لديك القدرة على احضار الشذا ، اقصدى شيراز فلنا حبيب هناك (١) ٠

والسعدى يفخر بأنه ولد فى شيراز ويسجل هذا فى شعره ، فيقول :

ـــ كل متاع يخرج من منجم ، السكر من مصر والسعدى من شيراز (٢) ٠

والسعدى كان يحن الى مسقط رأسه شيراز فى فترات الغربة والسفر ، وهذه ظاهرة طبيعية فالحنين الى الوطن جزء لا يتجزأ من كيان الانسان ووجوده ، فالانسان يجد ذاته فى وطنه وبين أهله وأصحابه وابائه وأبنائه ٠

(*) الشاهين يعتبر من أقوى الطيور (الصقور) ٠

(١) آخر اى باد صبا بوئى اكرْ مىآ رى
سوى شيراز كذر كن كه مرا يار آنجاست
(كليات سعدى ـ طبعة فروغى ـ ص ٥٤٧)

(٢) هر متاعى ز معدنى خيزد شكر از مصر وسعدى از شيراز
(كليات سعدى ـ فروغى ـ ص ٦١٨)

وها هو السعدى وهو بعيد عن شيراز يخاطب الريح قائلا :

ـــ عندما تمرين على أرض شيراز ، بلغيها أننى أسير قلبك فى هذه الأرض (٣) ٠

ويتضح ن هذا البيت أن السعدى لا يشعر بحريته الا فى وطنه وسقط رأسه ، فالوطن عنده هو الحرية والأمان ، وأى أرض غير أرض الوطن هى بمثابة الأسر والقيد ٠

ولهذا نجد أن السعدى يفضل طينة الوطن على عرش سليمان ، وهو يضرب ـ مثلا بيوسف النبى الذى حكم مصر لكنه كان يحن الى وطنه كنعان ، فيقول ما ترجمته :

ان طين الوطن أفضل من عرش سليمان
وأشواك الوطن أفضل من السنبل والريحان
ان يوسف الذى كان يحكم مصر كان يقول :
ان الشحاذة فى كنعان أفضل (من حكم مصر) (٤) ٠

وبالرغم من كثرة الأبيات التى نظمها السعدى عن الحنين الى الوطن والشوق الى ثرى هذا الوطن وأهله ، الا أننا نجد ان للسعدى عددا قليلا من الأبيات التى يعبر فيها عن استيائه وضيقه بشيراز وأهلها ، واذا كان هذا يبدو شيئا مستغربا ومستهجنا ـ للوهلة الأولى ـ من السعدى الذى تعصب لشيراز كل هذا التعصب الذى رأيناه وفضل طينتها على عرش سليمان ، ويرى أنها جنة الله فى الأرض ، الا أنه يبدو أمرا طبيعيا أيضا ، فاذا كان

---

(٣) جون ميكذرى بخاك شيراز كو من بفـــــلان زمين اســـيرم
(كليات سعدى ـ فروغى ـ ص ٦٣٩ / طيبات)

(٤) خشت وطن ازتخت **سليمان خوشتر**
خار وطن از ســـنبل وريحـــان خوشـتر
يوسف كه بمصر باد شـاهى ميكرد
ميكفت : كـــدا بودن بكنعان خوشـــتر
(كميات سعدى ـ فروغى)

الفرد العادى يضيق أحيانا بوطنه اذا ما واجهته أية مصاعب أو عقبات ، فما بالنا بالشاعر المرهف الحس سريع التأثر والانفعال ؟!

ويبدو أن السعدى تعرض لبعض المتاعب وواجهته بعض المشكلات وشعر أنه ليس فى شيراز قاض واحد يجد عنده الانصاف ويعيد اليه حقه الذى سلب منه ، فنقم على شيراز ونظم بيتا من الشعر أثار حفيظة الكثيرين عليه ، وجعل المجال فسيحا للهجوم على السعدى الى يومنا هذا ، يقول السعدى ما ترجمته :

— يبدو أنه لا ينفع أى جهد مع ما سبق من حكم الازل ، لهذا أسلمت جسدى للقضاء ٠

— اذا لم أتحمل جور الزمان فماذا أفعل ؟ فليس هناك قاض ينصفنى ٠

— لقد سئم قلبى تماما من صحبة شيراز ، وحان الوقت الذى تسأل فيه عن أخبارى من بغداد ٠

— ومما لا شك فيه أن صرختى ستصل هناك ، وعجيب اذا لم تصل صرختى الى صاحب الديوان ٠

— فيا سعدى ، مع ان « حب الوطن » حديث صحيح ، فلا يمكن أن أموت ذليلا لا لشىء الا لأننى ولدت هنا (٥) ٠

فالسعدى فى البيت الأخير يقول انه بالرغم من ان حديث النبى عليه السلام : « حب الوطن من الايمان » حديث صحيح السند ، الا أنه لا يعرض

---

(٥) ظاهر آنست كه باسابقهء حكم ازل جهد سودى نكند تن بقضـــاء در دارم
ور تحمل نكنم جور زمان واجه كنم ؟ داورى نيست كه ازوى بستاند دادم
دلم از صحبت شيراز بكلى بكـرمت وقت آنســت كه برسى خبراز بغدادم
هيچ شك نيست كه فريادم من آنجابرسد عجب ار صاحب ديوان نرسدم فريادم
سعديا حب وطن كرجه حديثىست صحيح نتوان مرد بسـختى كه من اينجا زادم
(كليات سعدى ـ فروغى ـ ص ٧٥٦)

نفسه للخطر أو يقبل الذل والمهانة فى وطنه ومسقط رأسه لمجرد أنه ولد فى هذا المكان ٠

وهناك من يعيب على السعدى أنه لم يعمل بالحديث النبوى من ناحية - وانه تحدث عن شيراز بما يفيد انه من السهل عليه أن يتخلى عن شيراز وطنه ومسقط رأسه من ناحية أخرى ٠

الا أننا نرى ان السعدى لم يأت فعله نكراء عندما قال هـــذا البيت فالهجرة من المكان الذى يواجه المرء فيه المتاعب ويتعرض فيه للايذاء أمر تعلمناه من الرسول الاكرم محمد (ص) ، فقد هاجر من مكة الى المدينة ، وسمح قبل ذلك لبعض الصحابة بالهجرة الى الحبشـــة للابتعاد عن أذى المشركين وسوء معاملتهم لهم ٠

والى جانب هذا نجد ان « الجاحظ » قد ذكر عند حديثه عن محاسن حب الوطن ان هناك أقوالا وأشعارا قيلت ضد الأقوال والاشعار التى قيلت فى محاسن حب الوطن ، ومن هذه الأقوال والأشعار :

« أوحش قومك ما كان فى ايحاشهم أنسك واهجر وطنك ما نبت عنه نفسك » ٠ وقال أحدهم :

نبت بك الدار فســـر آمنـــا فللفتى حيـــث انتهى دار (٦)

ولا شك فى ان دافع السعدى فى قول هذا البيت هو انه لم يكن يحس بالحرية أو العـــدالة فى ذلك الوقت فقد كان هناك عبودية وأسر وعـــدم اطمئنان (٧) ٠

لكننا - رغم هذا - لا نعفى السعدى من مسئولية عرض القضية بشكل صدم مشاعر البعض لما فيه من صراحة وحدة ٠

---

(٦) المحاسن والاضداد - ص ٦٣ ٠

(٧) قلمرو سعدى - على دشتى - جاب بنجم - ٢٥٣٦ شاهنشـــاهى - ص ٣٩٩ - ٤٠٠ ٠

شيراز فى شعر الحافظ :

ولد الحافظ فى شيراز ولم يغادرها الا لفترة قصيرة ذهب فيها الى « يزد » وعاد بعدها الى مسقط رأسه وظل به الى أن مات ٠

وحب شيراز لم يسمح للحافظ بالسفر الى أى مكان آخر غير شيراز ، فهو يقول :

ـــ ان نسيم ريح المصلى (*) ومياه ركناباد (*) ، لا يسمحان لى بالسير والسفر (٨) ٠

حتى عندما سافر الحافظ الى يزد لفترة قصيرة طمعا فى كرم الشاه يحيى ، وبعيدا عن أذى الشاه شجاع ، نراه يحن الى شيراز ، ويقول :

ـــ لقد ضاق قلبى من وحشة يزد ، فمتى أحزم أمتعتى وأذهب الى شيراز ؟ (٩) ٠

وهو يبكى الحبيب والديار أثناء وجوده فى يزد ، فيقول :

ـــ اننى أبكى بحرقة على ذكرى الحبيب والديار ، فلأطيح بأسلوب السفر ورسمه من الدنيا كلها (١٠) ٠

(*) المصلى هو اسم المقبرة التى دفن فيها الحافظ بعد موته ٠

(*) ركناباد : قناه أو نهير صغير أمر بحفره ركن الدين حسن الديلمى فى عام ٣٣٨ هـ ٠

(شيراز در كذشته وحال ـ حسن امداد ـ ص ١٨٨)

(٨) نميدهند اجازت مرا بسير سفر نسيم باد مصـــلا وآب ركنـــاباد

(ديوان حافظ ـ قزوينى ـ ص ٧٠)

(٩) دلم ازوحشت « زندان سكندر » بكرفت

رخـــت بربنـــدم وتا « ملك ســليمان » بروم

والمقصود بـ : « زندان سكندر » : مدينة يزد ٠ والمقصود بـ : « ملك سليمان »: شيراز ٠

(ديوان حافظ ـ طبعة قزوينى ـ ص ٢٤٧)

(١٠) بياد يار وديار آن جنـــان بكريم زار

كـــه از جهـان ره ورســم سفر براندازم

(ديوان حافظ ـ قزوينى ـ ص ٢٢٨)

وهو يحن الى ثرى شيراز فى فترة غيابه عنها ، فيقول :

ـــ هواء منزل الحبيب مـــاء حياتنـــا
فياريح الصبا هات نسيما ٠ من ثرى شيراز (١١)

والحافظ يتعصب لمسقط رأسه ويرى ان شيراز كالخال على وجه الاقاليم السبعة ، وهو يرى ان مياه أخدود : « الله أكبر » الذى ينبع منه نهر ركناباد أفضل من ماء الخضر ، يقول ما ترجمته :

ـــ لا تعب شيراز ومياه ركنى وهذا النسيم العليل ، فهى كالخال على وجه الأقاليم السبعة ٠
ـــ ففرق بين ماء الخضر الذى مكانه الظلمات وبين الماء الذى منبعه: الله أكبر (١٢) ٠

وبالرغم من ان الحافظ يعترف بأن نهر « زنده رود » بمثابة ماء للحياة فى مدينة اصفهان ، الا أنه يفضل شيراز على اصفهان لأن شيراز مسقط رأسه ومسقط رأس الانسان يبدو فى نظرة أفضل الأماكن ، يقول :

ـــ بالرغم من ان نهر « زنده رود » ماء للحياة ، الا أن شـــيراز مدينتنا أفضل من اصفهان (١٣) ٠

---

(١١) هواى منزل يار آب زندكانى ماســـت
صـــبا بيـــار نســـــيمى زخـــاك شـــيرازم
(ديوان حافظ ـ طبعة قزوينى ـ ص ٢٢٨ ، ٢٢٩)

(١٢) شيراز وآب ركنى واين بادخوش نسيم
عيبش مكن كـــه خـــــال رخ هفت كشـــورست
فرقست از آب خضر كه ظلمات‌جاى اوست
تاآب ماكـــه منبعـــــش الله اكبـــــر اســـت
(ديوان حافظ ـ قزوينى ـ ص ٢٩)

(١٣) اكرجـــه « زنده رود » آب حياتســـت
ولى شـــيراز مـــا از اصـــفهان به
وزنده رود : نهر معروف فى اصفهان ٠ (ديوان حافظ ـ قزوينى ـ ص ٢٩٠)

وبالرغم من كل هذا الحب وكل هذا التعصب لشيراز ، الا أننا نجد فى ديوان الحافظ بيتين فقط من الشعر أولهما يذكر فيه الشاعر أنه لم يصل الى مقصوده فى شيراز ولذلك فانه يتمنى التوجه الى بغداد فى يوم من الأيام لتحقيق هدفه ، يقول ما ترجمته :

ـــ لم نصل الى مقصودنا فى شيراز ، فما أسعد ذلك اليوم الذى يتوجه فيه الحافظ الى بغداد (١٤) ٠

ولا يفوتنا هنا أن نذكر ان هذا البيت يشبه الى حد كبير بيت السعدى فى هذا الصدد وربما يكون الحافظ قد تأثر بالسعدى عنـــد نظمه لهذا البيت (١٥) ٠

وعندما دب الخلاف بين الحافظ والشاه شجاع عاب الحافظ على مناخ فارس انه يربى السفلة ، يقول ما ترجمته :

ـــ من العجيب أن يكون مناخ فارس مرتعا للسفلة ، اين الرفيق حتى انتزع خيمتى من هذه الأرض (١٦) ٠

ووجود مثل هذين البيتين فى ديوان أى شاعر لا يعنى ان هذا الشاعر لا يحب وطنه أو مدينته ، لكن الأوضاع غير الصحيحة والمقلوبة فى المجتمع هى التى تدفع الشاعر الى الأنين والتوجع ٠ ولما كان الشاعر لا يملك وسيلة الا الشعر للتعبير عن رأيه أو عما يجيش فى صدره ، فيجب علينا أن نغفر

---

(١٤) ره نبرديم بمقصود خود اندر شـيراز
خـــرم آن روز كه حافظ ره بغـــداد كنـــد
(ديوان حافظ ـ قزوينى ص ١٢٩)

(١٥) لقد ذكر هذا البيت وترجمته عند الحديث عن الابيات التى عبر فيها السعدى عن ضيقه بشيراز ٠

(١٦) آب وهواى فارس عجب سفله بروريست
كو همرهى كـــه خيمه از بن خـــاك بر كنـــم
(ديوان حافظ ـ قزوينى ـ ص ٢٣٦)

للشاعر انينه وتوجعه خاصة وان الشعراء يمتازون عن غيرهم برهافة الحس وسرعة التأثر بالأوضاع والاحداث ٠

ولا شك فى ان الشاعر الذى يقول عن مدينته ان وضعها لا مثيل له ويدعو الله بأن يحفظها من الزوال ويصف رجالها بأنهم من أصحاب الكمال ، لا يمكن الا أن يكون عاشقا ومخلصا لها ومفتونا بها ٠ وترجمة هذه الأبيات هى :

— ما أطيب شيراز ووضعها الذى ليس له مثيل ، فيارب احفظها من الزوال ٠

— ولا أوحش الله نهر ركناباد مائة مرة ، فعمر الخضر يهبه ماؤه الزلال ٠

— وبين المصلى « وجعفر آياد » ، تهب معطرة بالعبير ريح الشمال ٠
— فتعال الى شيراز وابحث عن فيض الروح القدس ، من رجالها أصحاب الكمال (١٧) ٠

وهكذا وجدنا ان السعدى والحافظ اجتمعا فى حب شيراز وتعصبا لها لها وشغفا بها ، واذا كان هذا الحب وهذا التعصب لم يمنعا السعدى من الترحال والتطواف ، سواء من أجل طلب العلم وتحصيل المعارف أو من أجل البعد عن المغول وظلمهم ، فانهما لم يسمحا للحافظ بالسفر الى أى مكان آخر سوى « يزد » ولفترة وجيزة ٠

وقد عبر الشاعران عن حبهما لمسقط رأسهما « شيراز » فى أبيات تتغنى بشيراز وتزخر بأوصافها وتتحدث عن جمالها وتفوقها على سائر المدن ٠

---

(١٧) خورشا شيراز ووضع بى مثالش — خداوند انكه دار از زوالش
زر كناباد ماصد لوحش الله — كه عمر خضر مى بخشد زلالش
ميان جعفر آباد ومصلى — عبير آميز مى آيد شمالش
بشيراز آى وفيض روح قدس — بجوى از مردم صاحب كمالش

(ديوان حافظ ـ قزوينى ـ ص ١٨٩)

مراجع البحث : أولا : العربية :

١ ـ الحنين الى الوطن فى الأدب العربى حتى نهـــــاية العصر الأموى : محمد ابراهيم حور ـ القاهرة ٠

٢ ـ ديوان ابن الرومى ـ اختيار وتصنيف كامل كيلانى ـ الجزء الأول ـ القاهرة ٠

٣ ـ رحلة ابن بطوطة المسماة : تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ـ دار الكتاب اللبنانى ٠

٤ ـ المحاسن والأضداد للجاحظ الطبعة الأولى ـ القاهرة ٠

٥ ـ بحث غير منشور عن همام الدين التبريزى ـ يحيى داود عباس ٠

ثانيا : الفارسية :

١ ـ ديوان حافظ شيرازى ـ طبعة قزوينى وقاسم غنى ـ تهران ١٣٢٠ هـ ش٠

٢ ـ ديوان همام تبريزى ـ رشيد عيوضى ـ تبريز ـ ١٣٥١ هـ٠ش ٠

٣ ـ شيرازى دركذشته وحال ـ حسن امداد ـ شيراز ـ ١٣٣٩ هـ٠ش٠

٤ ـ قلمرو سعدى ـ على دشتى ـ تهران ـ جاب بنجم ـ ٢٥٣٦ شاهنشاهى٠

٥ ـ كليات سعدى ـ طبعة محمد على فروغى ـ تهران ١٣١٩ هـ ٠ ش ٠